

خاص بالفيديو.. بعد 17 عاما على رحيله: من قتل ياسر عرفات؟

#الياسر_17
#الوحدة_وصية_الياسرمَن قتل
عرفات؟

09 نوفمبر 2021 - 02:49

سبعة عشر عامًا مرت على رحيل الرئيس الراحل ياسر عرفات "أبو عمار" في ظروف غامضة بعدما ألمّ به مرض عضال لم تستطع في حينه الفرق والكوادر الطبية تشخيصه ومعرفة ماهيته وأسبابه، وقد استطاع المرض وفي مدة قياسية لم تتجاوز الـ30 يومًا القضاء على عرفات وطي سجل حياته الحافل بالأحداث والوقائع، لتعلن السلطة الفلسطينية وبشكل رسمي وفاة الزعيم الفلسطيني في 11 نوفمبر لعان 2004، في مستشفى بيرسي العسكري في فرنسا.

لغز غامض

وفاة عرفات شكلت لغزًا غامضًا ومثلت صدمة كبيرة في الشارع الفلسطيني وأثارت الشكوك حول هذا المرض الغريب الذي لم يمهل أبو عمار إلا أيامًا معدودات قبل أن يجهر عليه، وقد سُجلت ملاحظات وشهادات عدة ممن كانوا حول عرفات في أيامه الأخيرة أن صحة الرئيس كانت تتدهور بشكل متسارع وبطريقة غير منطقية، وتكوّن لدى الفلسطينيين إجماع كبير على أن الوفاة لم تكن طبيعية البتة وإنما هي اغتيال مخطط له ومدبر في الخفاء لإنهاء حياة الختار كما كان يطلق عليه الفلسطينيون، وبطبيعة الحال توجهت أصابع الاتهام إلى دولة الاحتلال الإسرائيلي في تدبير عملية الاغتيال، ولم تستبعد الكثير من الآراء فرضية تورط بعض المحيطين بالرئيس الراحل في الواقعة، إلا أن قرار السلطة كان سريعًا وحاسمًا في عدم تشريح جثة عرفات والإسراع في تشييع جثمانه، لتُنهى بذلك الجدل الحاصل وتفوت الفرصة على أي محاولة للبحث عن الحقيقة أو تقصي أسباب الوفاة الغامضة واستبانتها، وما زالت ملابسات الوفاة، حتى اللحظة، مجهولة ولم تعلن نتائج لجان التحقيق التي تم تشكيلها من قبل السلطة وغيرها من الجهات الدولية.

حصار مشدد

الفترة الأخيرة من حياة عرفات لم تكن جيدة ولا هادئة، فقد تعرض لحصار إسرائيلي مطبق في مقر إقامته في المقاطعة في رام الله، بعد اجتياح القوات الإسرائيلية للضفة الغربية في ما عرف بعملية السور الواقفي في 2002، دمرت فيها إسرائيل مقرات عرفات وهدمت نواة دولته المأمولة وقصفت وقتلت واعتقلت الكثير من قوات الرئيس وحرسه.

وتعرض الرئيس ياسر عرفات في تلك الفترة لكثير من التضييق والضغط، ومنع من الحركة والاتصال والتواصل مع الخارج ولم يبق حوله إلا عدد قليل من رجاله ومرافقيه، وتحكمت إسرائيل في ظروفه المعيشية التي هبطت إلى مستويات متردية جداً لا تتناسب مع مكانة الرجل وسنه الكبير ولا تتحقق فيها أدنى درجات الحياة الإنسانية الكريمة، وكان طعامه وشرابه ودواؤه يأتيه من خلال قوات جيش الاحتلال المحاصرة له وتحت إشرافها، وكأن حكومة الاحتلال كانت تريد من ذلك إرسال رسائل لعرفات ولغيره بأن يدها هي العليا وهي الأمر الناهي والمتحكم في حياته وشؤونه الخاصة، وهي إضافة إلى ذلك كانت تسعى لعزل الرئيس عرفات وتهميش تأثيره ومكانته على المستوى الشعبي والرسمي لتصل في النهاية لمرادها وتغتاله اغتيالاً ناعماً لا دماء فيه ولا صراخ.

تهديدات متكررة

وقد أطلقت فعلاً تهديدات متكررة تتضمن نيتها قتل عرفات أو نفيه أو أسره، خاصة بعد رفضه التنازل عن الثوابت الفلسطينية، وعلى رأسها القدس، في مفاوضات كامب ديفيد في صيف عام 2000. ونستطيع القول وفقاً للدلائل المتكشفة والحقائق البائدة تباعاً على أثر الوفاة المبهمة الأسباب، إن إسرائيل قد مهدت للتخلص من شخص الرئيس ياسر عرفات، مبتدئة ذلك بتجريمه دولياً من خلال سوق الدلائل على أنه هو الذي فجر الانتفاضة الفلسطينية وأنه هو الذي يمول التنظيمات العسكرية الفلسطينية، وأنه يحرص على الإرهاب ويدعمه ويرعاه، وقد حملته في أكثر من واقعة مسؤولية العمليات العسكرية التي نفذتها فصائل فلسطينية ضد أهداف إسرائيلية، واتهمته بأنه مسؤول وبشكل مباشر عن عمليات تهريب السلاح إلى القطاع وتسريبه لأيدي المنظمات الفلسطينية المقاتلة، وأنه أعطى الضوء الأخضر لعناصر السلطة لتشكيل والانخراط في المجموعات الفلسطينية المقاتلة، وهي بذلك ترفع الغطاء الدولي عنه وتسعى للاستفراد به ليلقى المصير الذي تخططه له.

عزل تام

في حصارها له في المقاطعة، عزلت إسرائيل أبو عمار عن المجتمع الفلسطيني ومنعته من ممارسة دوره في قيادة الشعب الفلسطيني وفصلته عن متابعة الأحداث الجارية في السلطة وأجهزتها الحكومية بشكل طبيعي.

وقد عملت إسرائيل قبل اغتيال عرفات وفق خطة ممنهجة لتثويبه صورته وربطها بالإرهاب والعنف في وسائل الإعلام المختلفة وجندت لذلك فرقاً متخصصة في مختلف المجالات لتتال من شعبية ومكانة عرفات الدولية والمحلية.

رغبة قديمة ومتوارثة

لم تكن رغبة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية في التخلص من الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات وليدة أحداث الانتفاضة الفلسطينية الثانية، ولم تبرز فكرة اغتيال عرفات مع عملية السور الوافي، بل هي رغبة قديمة ومتوارثة بين حكومات الاحتلال المتعاقبة، وتنامت مع تنامي الثورة الفلسطينية وتنامي مقدراتها على ردع الاحتلال وتوجيه ضربات موجعة لكيانه.

فقد ذكر عرفات في مقابلة مع صحيفة يديعوت أحرونوت في 17 نوفمبر 2003، أن شارون اعترف بأنه حاول قتله 17 مرة في بيروت، وإن كان من الصعب تحديد مدى دقة الرقم، إلا أنه مما لا شك فيه أن عرفات كان فعلاً هدفاً للأجهزة الأمنية الإسرائيلية على مر التاريخ العرفاتي النضالي، خاصة في لبنان وتونس، ومن المؤكد أن أغلب تلك المحاولات إن لم يكن جميعها تحمل خطتها بصمة الجنرال الإسرائيلي أرييل شارون، الذي لم يخف رغبته في الخلاص من عرفات وكان يردد دوماً أن "عرفات أصبح ليس ذي صلة"، ويقصد بذلك أنه لم يعد شريكاً للسلام، وقد رحل عرفات أثناء رئاسة شارون للحكومة الإسرائيلية، وهذا يرجح فرضية أنه تم اغتيال عرفات بالسم وأن وفاته لم تكن وفاة عادية، وأن لشارون يد في تدبير عملية القتل والتخطيط لها، خاصة أن علاقتهما معاً لم تكن جيدة وقد كانا نقيضين في كل شيء ولهما أمام بعضهما الكثير من الذكريات في أرض المعارك والمواجهة لم تستطع لقاءات التسوية السلمية محوها.

ضوء أخضر أمريكي

الصحافي في جريدة معاريف العبرية دوري دان كشف في كتابه الصادر باللغة الفرنسية بعنوان "أسرار شارون"، عن مكالمات هاتفية تمت بين شارون والرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في 14 إبريل/ نيسان 2004، ما يوحي بأنه في ذلك اليوم حصل شارون على الضوء الأخضر للتخلص من عرفات، حيث يقول دان في الكتاب إن شارون أبلغ بوش بأنه لا يرى نفسه ملتزماً بعد اليوم بوعده السابق له في مارس/ آذار 2001 بعدم المساس بعرفات، على خلفية العمليات التفجيرية في المدن الإسرائيلية.

وأضاف "عندها أجب بوش أنه من المفضل ربما أن يبقى مصير عرفات بيد الله"، عندئذ سارع شارون إلى الرد "لكن الله يحتاج أحياناً ليد المساعدة".

وحسب دان "لم يعقب بوش على كلمات شارون هذه، ففهم الصمت رضى".

وأشار في كتابه إلى أن الرئيس الأميركي لم يمنح شارون ضوءاً أخضر بتصفية عرفات، ولكنه أيضاً لم يمل عليه التزامات وقيوداً جديدة، كما أنه صمت على ملاحظة شارون.

وقال إن شارون "سُرّ بذلك وسارع لتبليغ صحافيين إسرائيليين بأنه بات طليقاً في التعامل مع عرفات".

وفي السياق ذاته، ذكر دوري تفاصيل حديث دار بينه وبين شارون، جاء فيه "أنا شخصياً اقترحت على شارون أنه يجب اعتقال عرفات وتقديمه للمحاكمة في القدس مثل أدولف آيخمان، فرد علي بالقول (اطمنن أنا أتعامل مع القضية بطريقتي).

بعدها سقط عرفات مريضاً بشكل مفاجئ ونقل إلى باريس وتوفي هناك.

عار عباس

يُحيي الفلسطينيون في كافة أماكن وجودهم كل عام ذكرى رحيل الشهيد القائد ياسر عرفات، ومع كل ذكرى يتساءلون عن قاتل الرئيس وأدواته، إلا أنه وبالرغم من مرور 17 عاماً على اغتيال عرفات لم تظهر الحقيقة ولم يُعلن عن القاتل، في حين أن رئيس السلطة محمود عباس كان قد أعلن خلال كلمة ألقاها بتاريخ 10 نوفمبر 2016 بمناسبة مرور 12 عاماً على رحيل الزعيم الراحل ياسر عرفات، أنه يعلم من قتل الزعيم الخالد ياسر عرفات، لكنه دعا إلى انتظار لجنة التحقيق المكلفة بهذه القضية للكشف عن المتورطين، ليرد عليه القائد محمد دحلان آنذاك عبر منشور على صفحته الخاصة على فيسبوك "إنه من العار السكوت عن شخص مثل محمود عباس وهو يدعي معرفة منفذي تلك الجريمة الكبرى لكل ذلك الوقت".

وقال دحلان إنه "ينبغي التوقف فوراً عن المتاجرة الرخيصة بقضية استشهاد الرئيس الشهيد ياسر عرفات، ولقد أن الأوان لوضع ملف التحقيقات في سياقها القانوني و العملي".

وأضاف أنه "من العار السكوت عن شخص مثل محمود عباس وهو يدعي معرفة منفذي تلك الجريمة الكبرى لكل ذلك الوقت دون مطالبته بتسجيل ونشر إفادته على الملأ، غير أنه ليس الشخص المؤهل لتوزيع الاتهامات وهو شخصياً في قفص الاتهام والمستفيد الوحيد من تغييب أبو عمار عن المشهد".

وأكد دحلان أن "هذا الاستغلال الرخيص لدم الزاحل الشهيد أبو عمار إضافة لكل الخطوات التدميرية والجرائم التي ارتكبتها محمود عباس بحق الشعب والمؤسسات والقانون والقضاء، جميعها تؤكد أنه غير مؤهل وغير مؤتمن على قضايانا الوطنية برومتها".

وقال "ليس لدينا أية أوهام حول حقيقة استهداف إسرائيل لحياة الزعيم المؤسس، ولم نشكك في تلك الحقيقة يوماً حتى إن كان غيرنا قد فعل عن عمد، ومن الصعب إقناع شعبنا وضماننا بغير تلك الحقيقة، ولكن يبقى علينا معرفة الوسائل والأدوات التنفيذية لتلك الجريمة المكتملة الأركان جنائياً وسياسياً، لأن اغتيال أبو عمار لم يكن عملاً جنائياً مجرداً، بل كان حلقة في سلسلة جرائم بدأت بالاغتيال السياسي وتمهيد مسرح الجريمة".

الجواب في رام الله

وفي ظل تخاذل السلطة في كشف ملابس اغتيال أبو عمار، لجأت سهى عرفات، أرملة الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات وابنتها زهوة، إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، بعد عجز الجميع بما فيهم السلطة عن كشف ملابس اغتيال عرفات .

وقالت سهى عرفات في تصريحات صحفية: إن السلطة الفلسطينية ولجنة التحقيق الفلسطينية والقضاء الفرنسي عجزوا جميعاً عن كشف ملابس اغتيال ياسر عرفات وتسميمه بمادة البولونيوم 210 الإشعاعية.. مضيفاً: "من المعيب أن نذهب أنا وابنتي إلى المحاكم الدولية وجواب من قتل أبو عمار موجود في رام الله".

وتعقبها على قرار المحكمة الأوروبية برفض الدعوة، أعربت عرفات عن استنكارها للقرار المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان الصادر في 1 تموز (يوليو) 2021 برفض إعادة فتح التحقيق بالشكوى الجنائية التي رفعتها تحت شعار "جريمة قتل مع سبق الإصرار".

ذكرى خالدة

تبقى ذكرى رحيل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات محطة لاستنكاره واستعراض تضحياته ومواقفه وإسهاماته الوطنية، وقد تحولت لحدث وطني يهيم الشارع الفلسطيني كله، ولكن دماء الشهيد ياسر عرفات تفرض على لجنة التحقيق إطلاع الشعب الفلسطيني على ما توصلوا إليه حول قاتل زعيمهم، إلا إذا كانت هناك مصلحة ما في إخفاء تلك النتائج.